

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

Threshold of dedication within the novels of "Ouassini Elaaraj"

هند بوعود 1*

¹جامعة عباس لغرور - خنشلة-الجزائر - bhouha@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 2020/02/01 تاريخ القبول: 2021/07/15 تاريخ النشر: 2021/12/30

الملخص:

يعد الإهداء من أهم العتبات النصية في الرواية الجزائرية، حيث يشكل موجها فاعلا للنص الروائي، وهو من النصوص الموازية التي تحمل خصوصية وتميزا. ويعتبر الإهداء تقليدا ثقافيا عريقا لازم الإبداع الأدبي عبر مراحل زمنية موعلة في القدم. ويهتم هذا البحث بدراسة نصوص الإهداء عند الكاتب الجزائري "واسيني الأعرج"، والإهداء في مجمل رواياته عتبة أساسية للدخول إلى النص والوصول إلى متعة القراءة، ويشكل موجها لا يمكن للقارئ أن يتجاوزه أو يتجاهله دون الوقوف على معالمه، لأنه يُسهم في توجيه توقع القارئ ورسم أفق انتظاره، ويعد أحد مفاتيح العمل التي تفتح أكثر من نافذة لفهم النص الروائي وقراءته، ويعد من البدايات التي لا بد منها لمقاربة دلالات ومقصدية النص الرئيس.

الكلمات المفتاحية: العتبات، عتبة الإهداء، بنية، وظائف، المتلقي الخاص، التقليد، الحداثة، أنماط، تمظهر، واسيني الأعرج.

Abstract

The dedication is one of the most important thresholds within the Algerian novel in that it constitutes an active guide for the novelistic text; it is among the parallel texts having both a particularity and a singularity; and it is considered as a deep-rooted cultural tradition that has accompanied the literary creativity through immemorial periods of time.

This research is concerned with the study of the dedication texts of the Algerian writer Ouassini Elaaraj; the dedication, in all of his novels, is a major threshold to enter into the text and reach the pleasure of reading; it constitutes a guide that should not be ignored or omitted by the reader, because it contributes to the reader expectation and helps him draw his perspective; it's one of the work keys that open more than one window to understand the novelistic text and it's reading; and it is one of the starts necessary to approach significances and a purpose for the main text. The research also looks at the features that distinguish the dedication text and it's styles within the novels of "Ouassini", the relationship of dedication to the parallel texts and to the central text, and to what extent the dedication is impacting and effective in guiding the reader toward the significances of the novelistic text.

Keywords : threshold, threshold of dedication, structure, functions, particular receiver, tradition, modernity, styles, manifestation, Ouassini Elaaraj.

-تمهيد-

إن النصوص الموازية التي تخص روايات الكاتب الجزائري "واسيني الأعرج"، تحمل خصوصية وتميزاً، مطبوعة بطابعه المتميز، فهي تشكل في كل رواية مفصلاً من مفصلات الرواية الرئيس التي تتيح لها أن تكمل وظائفها الإبلاغية، وتسند لها لكي تؤدي وظائفها الشعرية المنوطة بها، التي تفتح أمام متلقي الرواية أيقونة الاحتمالات والتوقعات فتحفز أفق انتظار القارئ، فهي تساعد القارئ على تناول النص الأدبي والروائي على السواء، من حيث مستوى البناء والدلالة، وفعالية النسيج اللغوي في تخطي حدود اللغة الاعتيادية إلى لغة التشكيل السردي الجمالي.

ومن بين أهم العناصر المشكلة للنصوص الموازية عند الكاتب الجزائري "واسيني الأعرج" نص الإهداء الذي يمثل إحدى البوابات الرئيسية التي يدخل عبرها القارئ إلى

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

صميم النص الروائي، وتترأى له بعد قراءة الإهداء وفك رمزيته إحدى السبل الأساسية لقراءة النص السردي وبلوغ مداركه. ولنبدأ بتقديم مفهوم للإهداء وأهميته ووظائفه في الرواية، ومدى تقديمه للنص السردي وصناعة أفق الانتظار للقارئ.

- شعرية عتبة الإهداء في روايات واسيني الأعرج

إن القارئ أول ما يحمل بين يديه رواية لـ "واسيني الأعرج"، يقف على ولع هذا الكاتب بالنصوص المصاحبة أو العتبات، فيعتبر "واسيني الأعرج" من الكتاب الذين أضافوا إلى نص الإهداء الكثير على مستوى البنية والتركيب وشعرية المكون، وعلى مستوى الدلالة والإيحاء والمقصدية، فأصبح الإهداء في روايات "واسيني الأعرج" يحمل بصمة الكاتب لأنها مستوحاة من طبعه ومزاجه، ومن ظروف وطنه ومآسيه؛ فحول نص الإهداء من النمطية التي تلاحقه في روايات كثيرة، وأراد له الكاتب أن يكون تحت إمرة الرواية تطوعه، لكي يكون في خدمة احتياجاتها فكرية وبنوية ودلالية. أما الإهداء عند واسيني فقد كان طوع الكاتب حيث يعتبر المتنفس الأول له، وهو الناطق لكل مشاعره وأحزانه، وفي خدمة النص المركزي حيث يفتح أبواب الدلالة أمام القارئ .

ويعد الإهداء من النصوص المحيطة التي شغلت اهتمام واسيني الأعرج، واحتلت فضاء في مقدمة صفحات كتبه، فكان الإهداء من العتبات القارة في جل الروايات عند واسيني، فقد حمل الإهداء توصيل الكثير من الأفكار والدلالات، كما ضحّه بكثير من المشاعر والإيحاءات والرميز، فجاء في كل رواية دالا على مشاعر متداخلة تغلب عليها نغمات حزن عميق، تتخللها رومانسية محفوفة بمعاني الوفاء أو الصداقة أو الذكرى. وكما رأى جيرار جينيت "Gérard Genette" بأن مصطلح الإهداء يطلق على شكلين من الممارسة بينهما قرابة؛ في منح الكاتب كتابه لشخص ما أو لمجموعة حقيقية أو مثالية من الأشخاص أو لأي كائن كان، فأحدهما يخص الحقيقة المادية لنسخة بعينها ويجسد التبرع بها أو بيعها؛ وثانيهما يخص الحقيقة المثالية للكتاب ذاته الذي لا يمكن امتلاكه بعد نشره للقراء لذلك يهديه بصفة رمزية⁽¹⁾.

هند بوعود

سوف أركز في دراستي لإهداءات **واسيني الأعرج** على نوع إهداء الكتاب الذي يخص الرواية في حد ذاتها، وأسلط بعض الضوء عما تتميز النصوص الإهدائية عنده في عموم رواياته الذي وجدت فيها هذا النص الموازي موجودا فيها، وسوف أقصر الحديث عن روايات بحد ذاتها، وأخص البعض الآخر منها بالإشارة أو الملاحظة. والتركيز على ظاهرة الثنائيات داخل الإهداء وعلاقتها بخارجها، ثم يأتي الحديث عن تمظهر الإهداء عند واسيني ضمن أشكال معينة يتحدد نوعها مع كل نص .

1. مواقع الإهداء في الرواية عند واسيني

يستقل النص الإهدائي في روايات **واسيني الأعرج** بصفحة مستقلة بذاتها عن باقي البنيات الأخرى، وتأتي صفحة الإهداء دوما بعد صفحة العنوان مباشرة، لكن ما يتميز به الإهداء عند **واسيني الأعرج** أنه يرد بعد العنوان وقبل صفحة شبه قارة في الرواية عنده، تتمثل في اقتباس أقوال لأدباء معروفين، أو التمثيل بحكم أو أمثلة من الذاكرة الشعبية، أو مقطع من روايات ذات شهرة عالمية.

إن النص الإهدائي حينما يكون محتضنا بين صفحتي العنوان والاقتباسات يكون إهداء واسينيا خالصا، حيث يُطبع ببصمة الكاتب، وهو تعبير نصي لا يخلو من القصدية، لذلك يتوقع القارئ من أن هذا النوع من المواقع عندما يختاره الكاتب لإهدائه يجب أن يخدم دلالات الرواية ومقاصدها، فيعمق معاني العنوان الروائي، كما يرمي بظلاله على ما يليه من أفكار جدلية أو فلسفية أو فنية في الصفحة الموالية، فموقعه هذا يحوله إلى مصدر طاقة مشع في الرواية، تستمد منه باقي البنيات أنوارها.

ومن أمثال هذه المواقع الذي يحتلها الإهداء في الرواية عند **واسيني** ما ورد في رواية " حارسه الظلال "، حيث أتى إهداءه فيها مباشرة بعد صفحة العنوان التي تضمنت اسم المؤلف "**واسيني الأعرج**"، كُتِبَ بخط عريض على رأس الصفحة، يليه عنوان الرواية كاملا، بعد أن ترك الناشر مساحة بياض واضحة بين العنصرين، ومساحة البياض هذه تسمح للقارئ أن يرى كل عنصر على حدى بوضوح وعلاقتهم ببعضهما، مما يفسح مجال التأمل والتأويل واسعا.

وصفحة العنوان في " حارسه الظلال " تضمنت أيضا لفظة رواية وهي دالة على المؤشر التجنيسي (indicationgénérique)، الذي يدل على نوع معين من الإبداع،

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

والذي يميزها، كما يرى **حسنبحراوي** " هو تكونها أساسا من النثر إلا أن هذا النثر يمتلك تنوعا واتساعا لم تعرفهما مع الأنواع الأدبية الأخرى التي سادت، ففي الرواية نعر على أجزاء تاريخية وبلاغية، ولكن هذه الأساليب تتداخل وتتشابك على نحو اصطناعي ماهر، لتجعل من الرواية أحدث الأنواع الأدبية"⁽²⁾، لذلك أول ما يقرأ المتلقي كلمة رواية تتراءى أمام عينيه كل هذه المعاني، ويربطها مباشرة بدلالات العنوان التي يسبقها، ويتصافر هذين العنصرين تبدأ المعالم الأولى للعمل الروائي التي تفتح أمام القارئ أفق الانتظار واسعا.

والملاحظ في صفحة العنوان التي سبقت النص الإهدائي أن عنوان الرواية قد دُون كاملا يتمثل في جملة: " حارسة الظلال "، وهو العنوان الذي ظهر على الغلاف، أضاف إليه عبارة "دون كيشوت في الجزائر"⁽³⁾، وأول ما يسترعي الانتباه أنها هي الدعامة التي ارتكز عليها العنوان الرئيسي، فيبدأ عنوان هذه الرواية شاعريا رومانسيا مفعما بالرموز والدلالات، يُقصد به أنثى، فلفظة " حارسة " هي مؤنث متصلة بـ " الظلال " وهو جمع ظل وهو مذكر، والجمع بين هذين النقيضين هو الذي خلق جمالية العنوان وتكامله، وهو الذي يوحي لنا كقراء أن عنصر الأنثى وعنصر المذكر وفعل التصادم أو التكامل أو الانصهار بينهما هو الطاغى على أحداث الرواية.

أما العبارة الفرعية للعنوان الرئيسي " دونكيشوت في الجزائر"، فهي تحمل الكثير من الرموز والإيحاءات، لأن "دون كيشوت" شخصية روائية من رواية "دون ميغيل ديسرفانتيسافدرا"⁽⁴⁾، وهي كما هو معروف عنها تدل على رحلة الاستكشاف الداخلي لشخصية البطل، حيث يمر بمراحل نفسية عديدة من إنسان طبيعي إلى شخص متوهم حتى يُصدم بالواقع فيُصاب بكآبة ويموت في النهاية. وقد وضع "واسيني" أمام قارئ روايته كل هذه المعاني والرموز التي تزخر بها هذه الرواية، من مغامرة، ويأس، وطموح، وكآبة، ووهم، وتصادم مع الواقع وغيرها.

هند بوعود

كل هذه الدلالات التي يحملها العنوان الرئيسي والعنوان الفرعي، حينما تسبق صفحة الإهداء لابد أن يكون لها تأثيرا خاصا جدا على ذهن القارئ، فأول ملامسة قرائية للإهداء وجدت ذلك الخيط الرفيع الذي يربط بين إحياءات العنوان والإهداء، حيث أول ما يقلب القارئ صفحة العنوان في " حارسة الظلال " يجد نص الإهداء: " الحبيبة الغالية نجاة، أيتها الجرح الصامت، وحدك تعرفين كم أن الدنيا هشة وقاسية "(5)، وهو نص إهدائي مختصر، مُصاغ في ثلاث جمل، محاط بنغمة حزينة وإحساس عميق بالتشاؤم، وقد كتب باللون الأسود الداكن، وهو إهداء موجه إلى أنثى وقد قام بذكر اسمها " نجاة " وقد تكون شخصية حقيقية واقعية تربطها بالكاتب صلة ما، أو شخصية وهمية من محض خيال الكاتب أراد من خلالها أن يفتح للقارئ سبلا أخرى تصله بالمتن الروائي.

وأرجح أن تكون نجاة شخصية تقترب من الوهم أكثر من الحقيقة، خاصة إذا وجدنا كقراء أنه يكتنحها بالجرح الصامت، فنجاة هنا مجسم مآسي الكاتب وجراحه وأزماته، خاصة في العشرية السوداء التي عاشتها الجزائر وعانى من ويلاتها الكاتب.

إن اسم نجاة الذي اختاره "واسيني" هنا هو اسم مفعم بالرمزية والإيحائية فهو يدل على التفاؤل و الانفتاح والإيجابية، بيد أن ما يسبقه من الألفاظ يوحي بقربها من نفس الكاتب، وما يلحقه منها يدل على التشاؤم والانغلاق والجراح والقسوة، وهنا التقاء آخر بين الموجب الذي يمثله اسم هذه المرأة، والسالب الذي تمثله الظروف المحاطة بها، وهذا كله يهيئ ذهن القارئ أن يبدأ مغامرة قراءة الرواية التي سوف تحمل الكثير من التصادم والمتناقضات.

ولموقع الألفاظ أيضا أثر في توجيه ذهنية القارئ وتحفيز أفق الانتظار لديه، فحين نتأمل النص الإهدائي نلاحظ أن هذا النص مكون من سطرين أساسيين هما: (الحبيبة الغالية نجاة، أيتها الجرح الصامت) يليها (تعرفين كم أن الدنيا هشة وقاسية)، تربطهما كلمة " وحدك " وهي كلمة فاصلة بين طرفي الإهداء، وتدل على الانفراد والوحدة والتميز، وقد أراد لكل هذه الصفات أن تلحق بهذه المرأة الرمز، فجاءت عبارة " الجرح الصامت " التي تسبقها دالة على الشاعرية والمشاعر ومدى قربها من نفس الكاتب إلى درجة تحولت إلى المتنفس الوحيد فهي جرحه الصامت، ومن الجهة الثانية يلحقها فعل "

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

تعرفين " الذي يتصل معناه في الجملة مباشرة بقسوة الدنيا، ويبقى موقع كل هذه الألفاظ وتشكيلها للجمل بهذا الترتيب بالذات لم يأت تلقائيا أو عفويا، لأن كل لفظة أدت في مكانها الذي اختير لها دلالات وإحياءات جعلتها باجتماعها مع باقي الألفاظ تشكل نسيجاً مميزاً جعل الحب والجرح والقسوة هي مفاتيح قراءة النص المركزي.

إن موقع النص الإهدائي بعد صفحة العنوان، هو الذي دعم معانيه وجعله نقطة قوة في الرواية، واستوحى منه إحياءاته ورموزه، فمثلاً وجدنا أن هذه الحارسة قد ألقت بظلالها على معاني الإهداء ومقصدية وأضفت عليه جمالا وشاعرية، وجدت أيضاً إن هذا التأثير يمتد ويتواصل إلى الصفحة التي تلت الإهداء والتي تضمنت قول أبولينر: "كأسي انكسرت مثل قهقهة عالية"⁽⁶⁾. فيلتقي القارئ مرة أخرى بنغمة حزن عميق، ولمسة رومانسية واضحة منذ أن ظهرت في القول لفظة "انكسرت"، فالانكسار صلتها وثيقة بالرومانسية دائماً، ويمثل عاملاً سلبياً في هذه الجملة، وحين يتوسط لفظة "كأسي" التي تسبقه والتي ترمز عادة للنخب، ولفظة "قهقهة" التي تلحقه والتي ترمز في كثير من الأحيان لدلالة الفرح والغبطة والسرور، ونلتقي مرة أخرى باقتران وتمازج آخر بين السالب والموجب.

ولعل من أكثر الأشياء التي لفتت نظري أن "واسيني الأعرج" في صياغته لنصه الإهدائي وتدوينه، وكذا في اقتباسه لقول أبولينر، أن الكاتب لم يستخدم المزدوجين ليحصر بهما هذين النصين، وهو أمر أرجح أنه متعمد منه يبتعد عن العفوية والتلقائية، لأن الكاتب أراد لنصيه . بكل ما يحملانه من معان . أن يحظيا بفضاء أوسع من أن يحدهما سطر أو سطرين، أو أن تحدهما صفحة مستقلة لهما، فقد حررها الكاتب من كل ما من شأنه أن يحد من المقاصد والأهداف المخولة لهما، فأضفى عليهما صفة اللامحدودية.

ولموقع نص الإهداء في " حارسة الظلال " بين صفحتي العنوان والاقتباسات دور آخر في تعميق دلالات عتبة الإهداء ورمزيته، فحينما يجد القارئ الإهداء مكتوباً على الوجه الآخر لصفحة العنوان (أي ظهر الورقة)، يبدو له أن الإهداء والعنوان كأنهما

هند بوعود

وجهان لعملة واحدة، فهي كالعملة النقدية فيبين الكتابة والرقم النقدي اختلاف في الرسم ولكن معناهما يكون موحدًا، وهكذا الأمر بالنسبة للإهداء والعنوان فإنهما يصبان في مجرى واحد، فهما يفتحان أمام القارئ كل معاني التصادم والتناقض التي يفترض أن يحملها المتن الروائي.

فعندما نتحدث عن قول الشاعر الفرنسي **قييومابولينر** (1880 - 1918)، فإن "واسيني" اختار له أن يكون في الصفحة المقابلة، فكان مقابلاً لنص الإهداء وموازيًا له، وقد لاحظت أن كل واحد منهما مكون من سطرين، وعند وقوفي عند السطر الأول في الإهداء وجدت معناه يكتمل عند السطر الأول من القول المقتبس، فيكون الثاني امتداداً للأول فيأتي كالتالي: (الحبيبة الغالية نجاة، أيتها الجرح الصامت، كأسى انكسرت مثل قهقهة عالية)، فقد حول "واسيني" معاني هذا الشاعر الفرنسي إلى كلمات مهداة إلى نجاة، وخلق من هذا البيت الشعري إهداء آخر يلد من رحم الإهداء الأصلي.

إن العلاقة التكاملية جمعت بين العنوان والإهداء حيث نجد أن العنوان قد يمد جسراً إلى الإهداء فتكون نجاة هي حارسة ظلاله فيكون كالتالي: (حارسة الظلال، الحبيبة الغالية نجاة، أيتها الجرح الصامت...)، فهذا التآلف بين الألفاظ، وهذه الحميمية بين العتبات هي توفر لدى القارئ فرضية ألفة وحميمية نابعة من داخل النص السردى.

وقد شدني منذ البداية أن العلاقة بين هذه العتبات الثلاث (العنوان، الإهداء، القول المقتبس) هي علاقة تكاملية خلقها موقع كل عتبة من هذه العتبات، وأحكمها موقع الإهداء فكان عروة وثقى بينها.

وتتعدد مواقع النصوص الإهدائية في كتابات "واسيني الأعرج"، وتتنوع وتتلون، وتختلف من رواية إلى أخرى، ولكن الشيء المشترك بينها أن كل إهداء يحمل مسحة حزن عميق وشكلاً من أشكال الأسى، كما لاحظت أن أغلب الإهداءات التي حملتها روايات هذا الكاتب الجزائري حُذِفَ منها حرف الجر " إلى " الموجود عادة كحرف قار في صيغة الإهداء، فقد تخطاه "واسيني" إلى المهدى إليه مباشرة فيأتي الخطاب من الكاتب (المرسل) إلى المهدى إليه (المرسل إليه) دون وسائط، ومثل ذلك وجدته في جل إهداءات "واسيني" التي حملتها رواياته، كما لفت انتباهي أن إهداءاته تجنح للاختصار أكثر من الطول، فتأتي كل كلمة في مكانها المخول لها فيحس المتلقي أنه ليس بإمكانه

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

أن يستبدلها أو أن يغير مكانها كأن يقدمها أو يؤخرها، فهي تؤدي وظيفتها في سياق النص الإهدائي محددة في الإطار الذي حدده لها الكاتب.

ومن أهم المواقع التي شغلها نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج" أن يأتي الإهداء بعد صفحة العنوان وأن يكون موصولاً مباشرة بالمتن السردى، مثل هذا وجدته في رواية "ذاكرة الماء"، وقد كان نص الإهداء كالتالي: "يمّا ميزار، زينب، باسم وريما، لاشيء في هذا الأفق، سوى الكتابة وتوسّد رماد هذا الوطن البعيد."⁽⁷⁾، فبدأ الإهداء كما هو واضح بكلمة "يمّا" مباشرة دون أن يستعين بأداة أو حرف يكون الأنسب في كثير من الإهداءات، كلمته الأولى هي "يمّا" التي تعني في اللهجة الجزائرية أمي، وخص هذا الإهداء إلى والدته وزوجته وولديه باسم وريما، فـ "بنية الإهداء من البنيات الأسلوبية التي يلجأ إليها الروائي في محاولة جادة منه في الاعتراف - ولو بجزء يسير - بفضل الآخرين عليه، أو تضمينها رؤية ذاتية عاطفية تضع النص في مرآة ذاتوية خاصة"⁽⁸⁾، وكما ضمنه أيضاً معاني الغربة التي يعاني منها الكاتب الذي فرض عليه فراق الأهل والوطن، ولا يجد مواساة سوى الكتابة وما يحمله في ذهنه من الذكريات والأشواق إلى الأهل والولد، ولاحظت أن إهداء رواية "ذاكرة الماء" تحكمه كفتين تقاربان كفتي أي ميزان؛ الكفة الأولى تشغلها أهل الكاتب وما يحيط بهم من معاني الحب والشوق والخوف، وفي الكفة الموازية الوطن الجريح وما يحمله من معاني الشجن والأسى، ويتوسط هاتين الكفتين رمانة القبان (الميزان) وهي هنا الكتابة التي تخلق التوازن النفسي لدى الكاتب.

وتتدعم كل هذه الدلالات التي حملها نص الإهداء بموقعه في الرواية، حيث يقع بين صفحة العنوان التي تسبقه وبين بداية النص السردى التي تليه مباشرة، وتحمل صفحة العنوان في روايات "واسيني" دائماً اسم الكاتب الذي يشغل الجزء العلوي من الورقة يليه عنوان الرواية الرئيسي والمتمثل في "ذاكرة الماء"، ومثل ما عوّدنا "واسيني" يظهر العنوان الأساسي للرواية على واجهة الغلاف ويكتمل بإضافة العنوان الفرعي في

هند بوعود

صفحة العنوان الداخلية، وهو في هذه الرواية " محنة الجنون العاري "، وهي لمسة من لمسات "واسيني الأعرج" في صنعة رواياته.

وصفحة العنوان التي تسبق نص الإهداء تحمل الكثير من الدلالات التي تفض بكارة النص المركزي أيضا وتجليه أمامنا كقراء، فلفظة ماء التي برزت في الجزء الأساسي من العنوان تدل على الخصب والنماء وعن الحياة ذاتها، مصداقا لقوله تعالى: { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } (سورة الأنبياء: الآية 30)، وتبقى كلمة " ذاكرة " التي ارتبطت به ترمز إلى كل ما هو ماضي من حياة الإنسان، وبهذا يكون الكاتب قد ربط مرة أخرى بين طرفي نقيض، بين الماضي والمستقبل، والظاهر أن هذين العنصرين اللذين سوف يحكمان سير الأحداث والشخصيات داخل المتن السردي .

ولقد جاء العنوان الثانوي (محنة الجنون العاري) مكملًا لدلالات العنوان الأساسي، فقد أضفى نكهة الحزن وهي الخيط الرفيع الذي يربط بينه وبين نص الإهداء.

ولم تأت صفحة العنوان متصلة اتصالا مباشرا بصفحة الإهداء بل فصلت بينهما صفحة بيضاء، ولأبيض دلالة على الصفاء، كما يدل على معاني الموت كما جاء في رواية "موبي ديك" للروائي "هيرمان ملفيل"، وعادة يدل اللون الأبيض على الفرح، والنقاء، والسلام، وعن لون الموت في الثقافات الشرقية، فلون الحزن عند بعض الشعوب أبيض، كما يرمز للحياة والتناول في الثقافة الغربية لذلك يستخدم هذا اللون لون رداء الزفاف. والأبيض لون الاستسلام والجبن أيضا.

وبين زخم كل هذه الرموز والمتناقضات التي حملها اللون الأبيض، وجدت أن واسيني قد أسقطها على صفحته البيضاء التي سبقت نص الإهداء، فهياً القارئ إلى ما سيأتي في الإهداء من معان، وامتدت معاني الموت والأسى ومآسي الوطن، ودلالات الاستسلام أمام واقع كارثي يوحى بالدمار واليأس.

وإذا كان موقع عتبة الإهداء جاء منفصلا عن صفحة العنوان، فقد أتى متصلا مباشرة بمتن النص الروائي، وقد لاحظت أن نص الإهداء قد تواجد بين الماء والماء، ومن المعاني المرتبطة بالفضاءات الشفافة معنى الماء، فأهم صفة من صفات الماء شفافيته وإذا تعكر فقد صفاءه ووظيفته، وتواجد موقع الإهداء بين ضفتي هذه الدلالات كلها يطبعه بطابع خاص جدا.

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

وللبحر علاقة خاصة بـ "واسيني الأعرج" حيث يظهر في معظم رواياته، ويتلون في كل مرة بألوان الطيف السبعة، ويشغل في كل مرة حيزا مهما من رواياته ومن تفكيره أيضا، فوجدته قد ظهر منذ البداية في روايته "سيدة المقام" حيث يهديه الكاتب هذه الرواية يقول: " في البدء كنت.. وكانت الزرقة، إليك أيها البحر المنسي.. يا سيد الأشواق والخيبة..."⁽⁹⁾، فالبحر دائما يحمله الكاتب عبء أحزانه وأشواقه، أو أن يكون عنوانا لرواية تزخر بالكثير من الرمزية والإيحائية وهذا ما يجده القارئ عندما يلتقي بالبحر ثانية في العنوان الرئيسي لرواية " شرفات بحر الشمال "، و في العنوان الفرعي لرواية ضمير الغائب (الشاهد الأخير على اغتيال مدن البحر)، وأيضا في عنوان رواية البوابة الزرقاء (وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر)، وكل هذه المعاني التي يأخذها البحر في روايات "واسيني الأعرج" المختلفة عموما، وما أخذه في عتبات رواية " ذاكرة الماء " بالخصوص فتح أمام القارئ فضاءات رحبة للإيحاء والبهت.

2. المتلقي الخاص في روايات واسينيا الأعرج (المهدي له)

للإهداء صيغ ثلاث تتمثل في صيغة الإهداء الخاصة وصيغة الإهداء العامة والصيغة المشتركة بينهما، فأما الخاصة فتتميز بطابعها الشخصي وبالعلاقات الحميمة التي يمكن أن تجمع المؤلف بأشخاص بعينهم من محيطه، وأما الصيغة العامة فلا تتحدد بأشخاص بعينهم فقد يكون المهدي له في هذه الحال المتلقي أو القارئ أو قيمة فكرية أو اتجاها فلسفيا أو مبدأ أخلاقيا، ويستند هذا النوع من الإهداء إلى العقل أكثر من العاطفة، وتكون علاقة المهدي له بالكاتب معنوية تبتعد قليلا عن المادية.

أما صيغة الإهداء المشتركة فتجمع بين الخاص والعام، حيث تتأسس على عدم التوجه إلى أفراد بأسمائهم و" تُعنى بالتواشج بين الإهداء وعنوان المؤلف ونصوصه " ⁽¹⁰⁾، ومثل ذلك في روايات واسيني نص إهدائه الذي جاء في رواية "سيدة المقام" والذي جاء فيه قول الكاتب:

" في البدء كنت .. وكانت الزرقة،

إليك أيها البحر المنسي.. يا سيد الأشواق

والخبيبة.

إليك مريم .. يا زهرة الأوكيدا Orchidée

والخراب العظيم..

يا سيدة المقام والمستحلات كلها" (11).

هذا النص هو الحلقة الواصلة بين العنوان والنص الحكائي، فهو يعطي تفاصيل مبدئية عن الحكاية فلا يمكن أن نشرع في قراءة النص السردى بمنأى عما جاء به الإهداء من معاني ورموز .

إن أول ما يشد القارئ عند قراءته للإهداء أنه جاء في بدايته موجها لـ "البحر"، وهو مهدي له عام قد يرمز به الكاتب إلى رموز عديدة لما تحمله كلمة " بحر" من إحياءات فهو رمز للشساعة والعمق والتقلب، وللعاطفية والرومانسية أيضا، فهذا البحر "سيد الأشواق والخبيبة" مثله مثل الكاتب أو هو دال في نهاية الأمر على ذات الكاتب التي تتشطر بين شوقه إلى الوطن، وبين الخبيبة التي تعتريه تجاه وطن جريح يطبق على أنفاسه التسلط والدكتاتورية.

ويوجه الكاتب إهداءه أيضا إلى مهدي له خاص وهو "مريم" والتي تجتمع في ذاتها كل المتناقضات، فهي بالتعبير الواسيني "زهرة الأوكيدا" و"الخراب العظيم"، فالوصف الأول تتمثل "مريم" من خلاله رمزا للجمال، يقابله ما يرمز إليه الخراب من معاني الدمار والتشاؤم واليأس، وهي معان تناقضه، وبذلك تكون "مريم" قد جمعت بين طرفي ثنائية متناقضة.

وإذا ما انتفت إلى ما شغله نص الإهداء من مساحة على البياض، فإنني أجد أنها مثلت بنصوص الإهداء فهي تأتي لتشغل وسط الصفحة أو تجنح قليلا إلى الجانب الأيسر منها، ولكن وجدت نص الإهداء الخاص برواية "سيدة المقام" قد أخذ مكانه في آخر الصفحة تاركا فراغا شاسعا من البياض قد سبقه، وهو أمر لا يخلو من قصد، فقد عمد الكاتب إلى أن يخلف من خلال هذا البياض دلالة وإحياء ورمزية، فإذا ربطته ببداية الإهداء: " في البدء كنت .. وكانت الزرقعة " وجدت هذا البياض أو الفراغ فوق الصفحة

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

هو ما قبل الوجود الفعلي لهذا البحر، فهو بحر منسي أعاد الكاتب إليه اعتباره وأكد وجوده.

وإذا ما ربطت هذا البياض الذي يسبق الإهداء بعنوان العمل الروائي والمتمثل في سيدة المقام (مرثيات الجمعة الحزينة)، أجده يتواصل مع الشق الثانوي من العنوان أكثر من الشق الأصلي منه، فهذا اليوم هو يوم مثقل بالأحزان والأحداث والتشائم والهموم، طويل تمرّد على القوانين التي تحكم الزمن، هذا الطول الذي يسبق بداية كتابة الرواية جسده الكاتب من خلال البياض الذي يسبق الشروع في قراءتها.

فيكون هناك تعالق بين المهدى لهم وبين العنوان والنص السردي، بحيث تحيل مسمياتهم إلى العنوان وإلى المتن السردية، كأن يهدي الكاتب إلى شخص يوحي اسمه بالحرية أو العدالة أو الانتصار أو التحرر من قيود العبودية، فيكون المهدى إليه لا يحمل اسمه الحقيقي بل يُحمّله الروائي معاني يحتاج الكاتب من الإهداء أن يوصلها للقارئ .

ويتكون الإهداء في روايات "واسيني الأعرج" من مرسل وهو الكاتب نفسه، ومرسل إليه وهو المهدى إليه، وموضوع الإهداء الذي يحمل رؤيا دالة تختلف باختلاف المرسل إليه وهو الخط الرابط بينهما، ويتكون الإهداء أيضا من أسباب الإهداء وصيغته، ويتخلّى "واسيني الأعرج" عن ما يحمله الإهداء عادة وهو توقيع المهدى وذكر زمان الإهداء ومكانه.

ومن أهم لمسات "واسيني الأعرج" على إهداءاته أيضا اختياره للمهدى لهم وتحديد وظائفهم داخل الإهداء، وما يشغله وجودهم من فاعلية في إغواء القارئ وشد انتباهه للرواية، فالكاتب يوظف المهدى إليه لشد القارئ نحو معاني الرواية ومقاصدها .

والمهدى لهم كما قسمهم جيرار جينيت "Gérard Genette" المهدى لهم غير المباشرين والمهدى لهم المباشرين، وهم عادة في إهداءات "واسيني" الأشخاص الأكثر قرابة منه مثل والدته أو زوجته أو أولاده أو أصدقائه، وينتقيهم ضمن موثيق معينة، أهمها الميثاق العائلي ويحتوي على أسماء أفراد أسرته المقربين، وميثاق الأخوة والصداقة والمهدي إليه في هذه الحال صديق أو رفيق درب. وهي كلها إهداءات غيرية قد تجمعها رواية واحدة ومثل ذلك الإهداء الذي حملته رواية "طوق الياسمين"، يقول "واسيني": " إلى

هند بوعود

زينب صديقتي الغالية، ... وإلى صديقي الحاضر دوما: عيد عشاب ... " (12)، وقد يوجه الإهداء إلى صديق أو أكثر مثلما جاء في إهداء رواية "شرفات بحر الشمال": " إلى عزيز الذي غادرنا مبكرا وإلى ناديا التي كانت تشبهه" (13).

فالمهدى له في روايات "واسيني" هو الذي تتجه نحوه كل المعاني، بل هو الفكرة التي تحرك مقصدية الإهداء، لذلك يكون المهدى له عند "واسيني" مثله مثل باقي مكونات الإهداء في خدمة إنارة دروب قراءة المتن السردية.

3. اسم العلم في الإهداء عند واسيني:

تجسد المهدى إليه في روايات "واسيني الأعرج" كثيرا من خلال أسماء العلم، واسم العلم كما هو معلوم " هو الذي يحدد هوية الإنسان أو الكائن البشري، ويبرز طبيعته الشخصية. وبعد ذلك يعين مرتكزاتها الأنطولوجية والقانونية والشرعية، فيحدد سماتها ومواصفاتها ومكوناتها الخلقية والخلقية، ثم يجلي كينونتها داخل المنظومة الواقعية والحضارية" (14)، فقد ارتبط الاسم منذ أن استخدم في الأعمال الأدبية والإبداعية بالجانب الشكلي والجانب النفسي.

ويختلف اسم العلم الخاص بالإهداء عن أسماء العلم التي تخص الشخصيات الروائية، ذلك لأن الأسماء التي يستخدمها "واسيني الأعرج" في النص الإهدائي لها سند في واقعه المعيش، يُوجه لهم الإهداء احتفاء بهم أو تقرباً منهم أو تقديرًا لعلمهم أو إعجابا بفنهم، كل هؤلاء هم متلقي خاص للإهداء، أما أسماء العلم التي تسمي الشخصيات الروائية فهي " تحمل تداعيات معقدة تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية، وأسماء العلم الشخصية تحضر داخل النصوص والخطابات، وهي محملة بالإرث الثقافي في شكل علامات مرجعية ورموز نصية تستوجب من المتلقي أثناء التعامل معها أن ينطلق من خلفية معرفية مسبقة لتحقيق انسجام النص واتساقه" (15)، فالشخصية الروائية تستلهم

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

قيمتها وجماليتها بواسطة ظلالها التي تصلها بالواقع ، أو هي شخصية خيالية يختار لها الكاتب اسما يدل على طبيعتها ونوعية وظيفتها الإيحائية داخل الرواية.

واسم العلم في النصوص الإهدائية عند واسيني يعتبر علامة أو إشارة أخرى دالة داخل نص الإهداء، فنص الإهداء عند "واسيني" من المصاحبات النصية التي تمثل إشارة مكثفة مرسلة من الكاتب إلى المتلقي لفهم المتن السردي، ويتألف الإهداء من إشارات أيقونية كل واحدة منها تثير زاوية من زوايا النص السردي، فالملاحظ في روايات واسيني الأعرج أن النصوص المصاحبة لنصوصه السردية بمثابة سيفساء كل قطعة أو جزئية منها تفتح أمام القارئ نافذة أيقونية إيحائية ودلالية فهي أشبه ما تكون بلعبة (puzzle) تجتمع كل الأشكال وهي المصاحبات النصية، من أجل أن تعطي شكلا نهائيا دالا على النص السردي.

واسم العلم يبدو في ظاهره واقعي ومباشر إلى حد بعيد جدا، ولكن عندما يتعمق القارئ في نصوص الإهداء عند "واسيني" يجد أن اسم العلم يبرز للمتلقي بمستويين دلاليين أساسيين؛ الأول يحمل كل المعاني المباشرة والحقيقية التي تمنحه طابعا واقعيا، وبالتالي فإن الإهداء هنا يكون موجها إلى ذلك الاسم بما ينتمي إليه في الواقع سواء أكان من الأهل أو الأصدقاء أو الولد، فإذا نظرنا من موقع المتلقي إلى نص إهداء رواية "طوق الياسمين" الذي جاء فيه : " إلى زينب، صديقتي الغالية شكرا لك فقد منحني حبك وصبرك فرصة أخرى لأن أكون كما أشتهي، في أصعب الظروف وأحلكها، وأنظر بعين أخرى للجنون والأقدار الصعبة التي كادت أن تعصف بنا في الصيفين الهمجيين من سنتي 1984 و1994 حين تواطأ ضدنا الله والقتلة والمأزومون" (16)، والملاحظ أن الفكرة المسيطرة على ذهن المتلقي اسم العلم "زينب" وزينب كما هو معلوم لدى المتلقي هي زوجة الكاتب "واسيني الأعرج"، فهي التي ولدت كل المعاني الموجودة في النص، وتغير معنى اسم العلم " زينب " بعد دخولها من العالم الواقعي إلى العالم التخيلي الذي هو إطار الرواية، لتتصل من معنى اسم العلم هنا فتتغير الدلالات والأدوار والوظيفة.

وإذا نظرت إلى اسم العلم من موقع الكاتب فإن ما يلفت الانتباه تلك الشراكة التي تجمع الكاتب باسم العلم "زينب"، والمتمثلة في أمرين هامين عنده؛ الأول وهو الذي يأخذ

هند بوعود

حق الأولوية ويتجسد من خلال مواجهة قدر الموت، وقد ربطه بزمانيين هامين: صيفي 1984م و1994م، هذين الحدثين من حياة الكاتب و"زينب" اللذين كادا أن يتسبب في إنهاء حياتهما، لهذا فقد توحدت روحاهما، فاستعمال "بنا" و "ضدنا" يدعم هذا التوحد ويعزز، وبذلك انبعثت روح جديدة للكاتب من روح زينب هي التي منحته القدرة على الكتابة والإبداع.

واسم العلم "زينب" في إهداء " طوق الياسمين " تجمع بين ثنائية طرفها الأول الضمير "أنا" الذي يخص الكاتب والذي يتأرجح بين التفاوض والتشاؤم، وبين الطرف الثاني وهو الضمير "أنت" والذي يخص "زينب" والذي اكتسب من خلال الكاتب كل رموز الحياة والتجدد، والجمع بين طرفي الثنائية يتولد عنهما ضمير آخر وهو "نحن". وعندما أتحدث عن اسم العلم من موقع النص، فإن "زينب" تحيل المتلقي إلى أن الأنثى هي التي تكون مركز الأحداث في النص الحكائي، وهي المحرك للحكاية وللشخصيات، وهذه الدلالة تصل القارئ قبل قراءته للنص السردى، وقد تتغير الشخصية الأنثى ولكنها تبقى هي نفسها "زينب" التي تحب، و"زينب" التي تضحي، و"زينب" التي تمنح القوة والدفع للرجل.

وبذلك يكون لاسم العلم "زينب" جانبين أساسيين يُنظر له من خلالهما؛ أحدهما دلالاته قبل دخوله في سياق نص الإهداء، ومعناه هنا حقيقي واقعي يتصل باسم شخص محدد، أما الجانب الثاني فيكون بعد توظيف اسم العلم في سياق النص، وتتجسد دلالاته وإيحاءاته من خلال مواقع ثلاثة: من موقع القارئ، ومن موقع الكاتب، ومن موقع النص. واسم العلم في الرواية عند واسيني والمتمثل في المهدي إليه قد يتجسد من خلال شخصية من شخوص الحكاية، قد يخرج الكاتب من الحكاية إلى النص الإهدائي ليكون هو المهدي إليه يقوم مقامه ويؤدي وظائفه، ومن ذلك الشق الثاني من نص إهداء رواية " طوق الياسمين " : " وإلى صديقي الحاضر دوما: عيد عشاب الذي انسحب بصمت من الدنيا مثلما جاءها بعد أن فتح لي باب الياسمين وكشف لي أنواره وأسراره. عاش ما كُسب، مات ما خلى. عشت وحيدا يا صديقي ومت وحيدا بعد أن نسيتك بسرعة الذين عرفوك وخدمتهم بطبيبك المعهودة وتفانيك"⁽¹⁷⁾، يبدو نص الإهداء الذي خصه الكاتب

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

لعيد عشاب هو أشبه ما يكون - في رأيي - بمونولوج داخلي يحاور به "واسيني الأعرج" ذاته، فاسم العلم في هذا الإهداء وهو "عيد عشاب" يشكل الجزء الآخر من الكاتب بانكساراته وأحزانه التي تحولت مع الزمن وتجسدت في كيان واحد هو هذا الصديق الذي ولّدت روايته "طوق الياسمين"، وهو اسم شخص تحيط بأفكاره وآرائه الكثير من الظلال الصوفية والأفكار التي تتمرد على الدين والواقع وقيم المجتمع المتمزقة، وما تركه "عيد عشاب" من مذكرات تتحدث بلسان حال الكاتب. فهو جزء آخر من الكاتب ينطق بالأسى وبالرفض لكل ما هو تقليدي ولكل التقاليد البالية التي تكبح الحريات الفردية باسم الدين أو العرف.

إن اسم العلم "عيد عشاب" هو اسم من واقع الكاتب إذ يتحدث "واسيني" عنه في حوار له مع مجلة "نزوى" يقول: "وكان علي أن أكتب نصاً أقول فيه حدادي لأنني انفصلت عن تلك المدينة [دمشق] بكل ما تحمله لي من أحزان وإنسانية جميلة وصرت في باريس... في 1985 زرت دمشق وأول شيء عرفته هو وفاة عيد عشاب وعدم زواجه بصديقته المسيحية بسبب رفض أهلها بحجة أنه مسلم. شعرت بألم شديد. فجأة تذكرت مذكرات عيد عشاب التي كان قد منحها لي يوم غادرت دمشق نهائياً. مدّها لي وهو يقول: "هذه مجرد خربشات اقرأها ربما وجدت فيها شيئاً صالحاً للكتابة. بمجرد عودتي قرأتها بشغف فوجدت دمشق التي طالما عشقتها وكتبت عزائي وحدادي لدمشق ووفائي لعيد عشاب في رواية طوق الياسمين"⁽¹⁸⁾. وهو نص يثبت للقارئ أن "عيد عشاب" شخصية من واقع الكاتب، فنص الإهداء الذي وجهه إليه "واسيني" هو إهداء مزدوج (إهداء لشخصية حقيقية ولشخصية روائية)، إذ هذه الشخصية الواقعية هي نفسها الشخصية المحورية في النص السردية التي اشتركت في بناء أحداث الحكاية، وقد تم تفعيل حركية الأحداث والزمان بالتوازي الذي خلقه الكاتب بين حكاية عشق بين الراوي ومريم، وبين العلاقة العاطفية التي جمعت بين عيد عشاب وسيلفيا البنت المسيحية.

واسم العلم "عيد عشاب" تخلص عن صفته الواقعية حينما دخل إلى الرواية بداية من نص الإهداء، وبتوظيفه داخل الرواية ارتبط بمتعلقات عدة وأحاطت به الكثير من

هند بوعود

الأحداث التي شارك في خلقها وتشكيلها جعلت منه مهدي إليه في النص الموازي وشخصية روائية محورية في النص الثاني.

وعندما أتأمل نص الإهداء الذي خصه الكاتب لعيد عشاب ألاحظ أنه هو جزء من نهاية مسبقة للرواية حيث وجدت أن مصير هذه الشخصية داخل الرواية قد أعلم به واسيني قارئه قبل أن يخوض مغامرة القراءة، وقد كانت النهاية عندما قال **واسيني**: " بعد مدة قصيرة وجد عيد عشاب ميتاً وبجانبه قارورة أقراص بيضاء نزعت منها كل الإشارات التي تدل على الدواء والمؤسسة التي أنتجت [هذا يدل على أن موت عيد عشاب كان انتحاراً]. لم يسر وراء نعشه يومها إلا أصدقاء قليلون. حتى السفارة التي أعلمت بخبر الوفاة في الليلة نفسها، ردت بعد أسبوع أنه غير مسجل لديها ضمن قوائم الجالية وبالتالي فهي غير معنية به. كان وقتها عيد قد دفن وشيع موتا...عاش وحيدا ومات وحيدا " (19)، وهذا النص الذي هو من نهايات رواية " طوق الياسمين " إذا ما قابلته مع نص الإهداء فيها وجدتهما متطابقين في المعاني والإحياءات، فقد جسد لنا نص الإهداء مأساة رحيل "عيد عشاب"، وإجحاف أصدقائه وبعض الذين عرفهم وخدمهم بإخلاص، فهناك تطابق شبه تام بين الإهداء والنهاية يظهر أيضاً بين الحكمة أو المثل الذي ترك وقعا عند القارئ وهو (عاش ما كسب، مات ما خلى) بمقابل جملة (عاش وحيدا ومات وحيدا)، الجملة الأولى التي حملها نص الإهداء تعني أن "عيد عشاب" في حياته لم يكسب أيّاً من أسباب السعادة ومات دون أن ينالها أيضاً، والجملة الثانية تأخذ المتلقي إلى الدلالات ذاتها أيضاً، وبذلك يكون **"واسيني الأعرج"** قد بدأ روايته بخاتمتها وهي تقنية زادت من شعرية عمله وطبعته بخصوصيته.

وفي رواية " طوق الياسمين " تتضافر صيغة العنوان ونص الإهداء من أجل صناعة التوقع لدى القارئ، فجزء من الحكاية يكاد يرويهِ عنوان الرواية للمتلقي، لأن " طوق الياسمين " (رسالة في الصباغة والعشق المستحيل) يحيله على معان وإحياءات ورموز تصب كلها في اتجاه واحد، فالجزء الأول من العنوان " طوق الياسمين " يشد القارئ إلى لفظة الياسمين أكثر من طوق، والياسمين إذا ذكر أو مُثّل به يأخذ الأذهان دوماً إلى الشام ثم إلى دمشق حيث الياسمين الشامي، وهو مظهر من مظاهر الحضارة

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

في البيوت السورية العريقة، أما الجزء الثاني من هذا العنوان يتعلق بعبارة (رسالة في الصباية) ويعني أن هناك حكاية عاطفية تجمع بين حبيبين بينهما عاطفة وولع وشوق وصباية، ويقف الكاتب عند هذا الحد دون أن يمنحنا تفاصيل أخرى ليحرك في المتلقي فضول القراءة، ويحوّله من مجرد مقتنٍ للكتاب إلى قارئ فعلي، أما الجزء الأخير من العنوان : (والعشق المستحيل)، وهذا الجزء يوحي بأن هناك حكاية ثانية توازي الحكاية الأولى ولكنها حكاية يبدو أنها لا تكتمل إذ يصدّمها المستحيل فيحد من استمراريتها. وبالتالي يكون العنوان قد مدّ القارئ بالخطوط العريضة للحكاية التي سوف يتضمنها النص السردي، ويوحى ببعض زواياها. وبذلك يساهم هذا العنوان في صناعة التوقع في رواية "طوق الياسمين"، يكمله نص الإهداء حيث يوضح زوايا أخرى بأكثر تفصيل ليزيد من فضول القارئ لمعرفة المزيد من الحكاية.

4. الثنائيات في الإهداء عند واسيني

يغلب على الكتابة عند واسيني ظواهر عدة تسهم في التأسيس لشعرية العمل الروائي عند "واسيني الأعرج"، وقد نطقت نصوص كثيرة بسمات فنية وجمالية تؤكد انتماء هذه الكتابة إلى جنس الرواية، وتثبت تمكنه من تقنيات الإبداع الروائي، وهي خصائص لا تتصل بالنص السردي فقط بل تتعداه إلى النصوص الموازية أيضا في رواياته، وخاصة منها الإهداء.

ومن بين أهم هذه الخصائص ظاهرة الثنائيات التي شغلت حيزا هاما من تشكيل نصوص الإهداءات في روايات "واسيني الأعرج"، وعززت تواصلها مع المتن السردي. والثنائية تعني التآلف أو التضاد بين شيئين أو عنصرين تجمعهما نقاط متعددة تخص الكم أو النوع أو الطبيعة. والثنائية في نصوص إهداء "واسيني الأعرج" لها وجوه كثيرة، ويراهها القارئ من زوايا مختلفة نبدأها بثنائية الكاتب نفسه ونص الإهداء، وأول شيء يجمع بين طرفي هذه الثنائية هو مسحة الحزن الحاضرة في جل إهداءاته، وأمثلة لذلك بإهداء رواية "سوناتا لأشباح القدس": "هوجيت كالان، جمانة الحسيني، مريم بان، وعلا حجازي، هذه الآلام من جراحكن الخفية ومن صرخاتكن المكتومة، شكرا على كل شيء. ما يزال في ألوانكن الطفولية بعض الأمل على الرغم من تعميم المحرقة

هند بوعود

وانتقالها إلى كل حواسنا الهشة ⁽²⁰⁾، وأول سؤال يتبادر إلى الأذهان هو ما العلاقة التي تجمع هذه الأسماء بالكاتب، وماذا توحى بالنسبة إليه، وما صلتها برواية "سوناتا لأشباح القدس" ؟ .

يجيبنا "واسيني" من داخل نص الإهداء فيحدد سبب اختياره لهن حينما ربطهن بالآلام والجراح والصرخات، في عبارة : " هذه الآلام من جراحكن الخفية ومن صرخاتكن المكتومة "، فاسم الإشارة "هذه" خص كل المحن والمآسي والانكسارات التي تضمنتها حكاية الرواية.

فالثنائية التي تفرض نفسها بقوة في هذا الإهداء طرفها الأول هو الكاتب وطرفها الثاني هن: هوجيت كالان، جمانة الحسيني، مريم بان، وعلا حجازي، وهن يحملن رموز الألم، كما يتلخصن عند الكاتب في ثنائية (الألم، والأمل)، وبين تحول اللام من الوسط إلى الأخير تتغير كل المعاني والدلالات التي يوحى بها المهدى لهن في هذا الإهداء، وتنبثق من هذه المعاني ثنائية أخرى هي (فن الكتابة، وفن الرسم)؛ الكتابة يمثلها "واسيني" والرسم تمثله الأسماء الأربعة المهدى لهم في نص الإهداء، وبين الفن والفن يُبعث الأمل.

وللثنائية (الكاتب، والإهداء) حضور آخر في إهداءات الرواية عند واسيني، حيث يلتقي طرفا الثنائية في نقطة هامة تميز "واسيني الأعرج" عن غيره من الكتاب الجزائريين وهي الشاعرية والرومانسية التي تطبع جل كتاباته الروائية بداية من عنوان العمل الروائي ومرورا بالإهداء ثم بالنص السردي إلى نهاية الرواية.

ومن ذلك وجدت نص إهداء رواية "شرفات بحر الشمال" وهو من الإهداءات النادرة التي يسبقها "تنبيه واعتذار" من الكاتب، وهو مظهر من مظاهر كتابة الإهداء لديه. يقول الكاتب: " إلى عزيز الذي غادرنا مبكرا وإلى ناديا التي كانت تشبهه. أيتها المهبولة، في كل الوجوه أنت، أغلقي أولا هذا الباب العاري، سدي النوافذ القلقة، ثم ... قللي من خطايا الكلام واستمعي إلي قليلا. لقد تعبت. شكرا لهلك وغرورك فقد منحاني شهوة لا تعوض للكتابة ووهما جميلا اسمه الحب. مثلك اليوم أشتهي أن أكتب داخل

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

الصمت والعزلة، لأشقى منك بأدنى قدر ممكن من الخسارة " (21)، ويتضمن إهداء رواية " شرفات بحر الشمال " الكثير من الألفاظ والإيحاءات الدالة على الرومانسية التي تعتبر صفة لصيقة بكتابات الإهدائية، ومن هذه المعاني معنى الموت أو الدنو من النهاية، وهي إحياءات تكررت كثيرا في إهداءات "واسيني" فجاءت في كل مرة تعبر عن معاني اليأس والحزن، فليسيطرة التشاؤم عليه جعل معظم المهدى لهم في رواياته إما فارقوا الحياة مثل: عيد عشاب، أو عزيز أو ناديا أو الأمير عبد القادر ممن " انسحبوا من الدنيا " (22) أو " غادروها " (23)، أو ممن " كادت أن تعصف بهم الأقدار " (أي أوشكوا على الموت) (24)، وهذا التشاؤم من المعاني الشائعة عند الرومانسيين.

وحمل الكاتب إهداءه بصفات رومانسية أخرى أهمها القلق الدائم الذي يعتبر صفة بارزة من صفات الرومانسيين والصمت الذي يدعو إلى التأمل، والعزلة التي تلهم الفنانين والكتاب وتمنحهم شهوة الكتابة.

فاختيار الكاتب للألفاظ خلقت شاعرية في نصوص إهداءاته، وكذلك تلك النغمية التي أحدثتها توزيع الكاتب لعلامات الوقف التي فصلت بين جملة وعباراته، فلم تؤد وظيفة تنظيم قراءة القارئ للنص فقط بل أصبحت بين جملة وأخرى ترفع من وتيرة الخطاب الإهدائي أو تخفضها، فقد جاء في قول "واسيني": " أيتها المهبولة " ثم فاصلة وجملة " في كل الوجوه أنت " وفاصلة أخرى وتليهما عبارة " اغلقي أولا هذا الباب العاري " وفاصلة ثم " سدي النوافذ القلقة "، كل هذه الفواصل هي التي دعمت إحياءات هذه الجمل داخل الإطار الإهدائي، فالفاصلة الأولى هي التي حددت الخطاب الموجه إلى الأنتى يصفها الكاتب بالجنون، فهذه الفاصلة حددت المخاطب وطبيعته حينما توقف الكلام عند كلمة " المهبولة " وهي لفظة من اللهجة الجزائرية تعني المجنونة، والجنون هو الذي استوقف الكاتب وقد يقصد به الأحداث المتوالية والمتسارعة التي شهدتها الجزائر " وهو ما جعل المثقف يعيش حالة من التوجس والذعر الذي لا يمكن كبته،

هند بوعود

يضاف إلى ذلك أن واسيني الأعرج من جيل المثقفين الجزائريين الذين ولدوا من رحم الأزمة ؛ أزمة التحرير والاستقلال، ثم أزمة النزاعات على السلطة، والتي تقنعت بقناعات شتى... وفي كل الأحوال يظل شبح العنف يطاردهم، وقد انعكس ذلك على الإنتاج الرمزي والثقافي بخاصة في مرحلة الأزمة السياسية التي عاشتها الجزائر في العشرية الأخيرة من القرن العشرين، فالرواية أكثر الأجناس استيعابا لها ونمذجة لعوالم الرعب فيها⁽²⁵⁾.

مظاهر الإهداء في الرواية عند واسيني:

تتمظهر نصوص الإهداء في روايات واسيني الأعرج ضمن أشكال وأنماط مختلفة، فأول ما يلفت انتباه القارئ أن نص الإهداء في كل رواية يختلف عنه في باقي الروايات، بحيث يتشكل بحسب ما تقتضيه طبيعة الرواية وما يتطلبه الشكل العام لها وما تحتويه من مضمون، ومن اتجاه سير حركية الأحداث فيها.

ويتشكل مظهر الإهداء عند واسيني فيأخذ شكله الذي يظهر به تبعا لثلاث زوايا رئيسية يرتكز عليها في رمزيته، وإيحائيته، وأداء وظائفه المنوطة به، فيتبلور من خلال نمط النص الإهدائي، ومن حيث البنية والتركيب، ومن حيث العلاقة بالقارئ (تأثيرا وتأثرا)، لأن القارئ بإمكانه أن يفرض على الكاتب نمط الإهداء أو نوعه، كما يمكنه أن يحدد نوع بنيته خاصة إذا كان قارئاً نوعياً أو متخصصاً، فيراعي الكاتب هذا الجانب قبل صياغة نص إهدائه، وبذلك يغير اتجاه نصه في جانب المضمون أو المهدي له أو غيره .

5. أنماط الإهداء عند واسيني

يتأسس الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"، من خلال أنماط محددة ومختلفة تتميز بين رواية وأخرى، فيأتي الإهداء بين شقين أساسيين؛ بين الإهداء المباشر والإهداء المقنع، أما الإهداء عند واسيني المباشر فيكون موجهاً إلى أسماء أو أشخاص معينين من المحيطين به وقد مثلت له فيما سبق، أما الإهداء المقنع في روايات "واسيني الأعرج" فيتجسد في أنماط عدة، عندما يوظف واسيني مقولة لفيلسوف أو لكاتب أو مقولة مأثورة أو حكمة فتأخذ في شكلها الظاهر ملامح المقولة أو الرأي وتأتي في جانب رمزيته وإيحائيته دالة على معاني الإهداء ومؤدية لوظائفه ومحقة لأهدافه، في رواية "

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

فاجعة الليلة السابعة بعد الألف " بعد صفحة العنوان حيث يلاحظ حضور مقولة لسان

جون بيرس التي جاء فيها :

" ضيقة هي المراكب..

ضيق سريرنا .

لیدخل البحر من النوافذ

للبحر وحده سنقول،

كم كنا غرباء في أعياد المدينة.

سان جون بيرس/ منارات «(26).

إن هذه الأبيات قصدت أن أكتبها كما جاءت مكتوبة في الرواية وكما تراءت للقارئ فوق بياض الصفحة، فظاهرها يوحي للقارئ بأنها أبيات صيغت كي تؤدي دلالات معينة وترمي بإيحاءات ورمزية معينة، ولكن في باطنها هي نمط من أنماط الإهداءات المقنعة، فتوظيف الكاتب لها طوعها وحولها كي تقوم مقام الإهداء، وبدل أن كانت الألفاظ والجمل تحاط بالنغمية التي يحدثها الشعر (الأبيات)، أصبحت هذه النغمية ذاتها في خدمة معاني الإهداء، فجاء كآلاتي: " إلى من تضيق به المراكب.. وإلى من يضيق به منامه. فلنتحرر من كل قيودنا ولنحدث بطلاقة عما نعيشه من غربة تحيط بنا من كل جانب، وعن الحزن الذي يعترينا زمن الفرح"، فتبوح كل كلمة في الأبيات بما يقابلها من المعاني التي حولتها إلى الإهداء، فضيق المراكب تحولت إلى من ضاقت به المراكب، وضيق سريرنا تحولت إلى من تضيق له المراكب، ووجود البحر الذي غمر كل شيء هو تحرر من كل القيود، والغربة في الأبيات هي الغربة ذاتها التي يتحدث عنها الكاتب في كل إهداء من إهداءاته يحفها الحزن والتشاؤم.

وعندما نتساءل عن المهدي له في هذا الإهداء فنجد الإهداء موجه إلى مهدي إليه أساسي ومهدي إليه ثانوي؛ فأما الأساسي فإنه الكاتب نفسه الذي تلازمه الغربة والأحزان، والمهدي له الثانوي عام هو كل من يشارك الكاتب هذه المشاعر ويقاسمه هذه المحن، وهو مهدي له معمم. وبذلك يكون التحول من الأبيات إلى الإهداء هو النمط الأول من أنماط الإهداء عند واسيني.

هند بوعود

ويأتي الإهداء عند واسيني أيضا بشكل آخر بحيث يشكل النمط الثاني من الإهداءات المقنعة في روايات "واسيني الأعرج"، أمثل لذلك بـ "كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد)"، حيث أن الصفحة التي تسبق بداية النص الحكائي، والتي أتت في ظهر صفحة العنوان تتكون من قسمين أساسيين يتمثلان في قولين مثلاً نمطين من أنماط الإهداء المقنع لدى واسيني الأعرج؛ النمط الأول أن يجعل الكاتب القول المقنن أو الموظف في الرواية وهو لـ "مونسينيور ديبوش" يحمل أكثر من هدف وغاية ومعنى، من أهمها أن يطوّع لكي ييوح بالسبب الرئيسي لكتابة هذه الرواية ودافع تخصيصها للأمير عبد القادر، والغاية الأخرى هو أنه تحول إلى إهداء حينما أعطى الكاتب الإحساس لمتلقيه أنه يهدي هذه الكلمات إلى روح "الأمير"، وأن كل ما سوف يقرأه فيما سيأتي من النص السردى هو اعتذار منه للأمير وتبرئته مما ألصق بشخصه من تهم وأكاذيب من طرف بعض المؤرخين والكتّاب، وقد جاء في قول "مونسينيورديبوش" : " في انتظار القيام بما هو أهم، أعتقد أنه صار اليوم من واجبي الإنساني أن أجتهد باستماتة في نصرة الحق تجاه هذا الرجل وتبرئته من تهم خطيرة ألصقت به زوراً وربما التسريع بإزالة الغموض وانقشاع الدكنة التي غلفت وجه الحقيقة مدة طويلة " "مونسينيورديبوش" ²⁷، وهذا القول لصاحبه "ديبوش" ولكن القارئ يحس وكأن "واسيني" هو الذي كتبه، فكل كلمة يبدو أنها تدل عما يراه الكاتب وما يتطلع إليه، فتكون الرواية في مجملها إهداء لروح "الأمير عبد القادر الجزائري"، وتكون رداً على كل المغرضين الذي حاولوا تشويه صورته الناصعة، " فقد أراد المؤلف أن يكون أكثر حرية واستقلالية في تحريك أدواته السردية وأحداث روايته، وأراد أن يمنح فضل توجيه الإهداء إلى بطله الذي أسلمه السرد وأوكل إليه كل شيء ليتحدث ويسرد سيرته وسيرة كل من له علاقة به مما جعل الإهداء يوجه إلى شخصية الرواية بشكل عام وإلى شخصية إشكالية ليس في ذاتها وإنما بما شكلته من إشكالية داخل البطل وداخل بعض الشخصيات في السرد " ⁽²⁸⁾. ليكون هذا الإهداء في عمومه حالة من حالات التبجيل والاعتذار والتقديس، وبالتالي حالة من

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

حالات الاستباق يصل بها القارئ إلى بعض المؤشرات التي تطلعه عن مسارات النص الحكائي، وهو إغراء للمتلقي من أجل متابعة فعل القراءة ومواصلة البحث والاكتشاف.

وكل هذه المعاني التي تضمنها قول "مونسينيور ديبوش" رآه الكاتب في حاجة إلى ما يكمل دلالاته، ويدعم معانيه، لكي يفتح من خلاله أيقونة أخرى أمام القارئ تمنحه فرصة أخرى للتعرف على بعض مضامين النص الرئيسي، ويتمثل النص الذي أكمل به واسيني نصه الأول في مقولة مشهورة للأمير "عبد القادر الجزائري" جاء فيها قوله :

« Si tous les trésors du monde étaient déposés a mes pieds

et s'il m'était donné de choisir entre eux et ma liberté, je choisirai la liberté »⁽²⁹⁾

وترجمته باللغة العربية: " لو وضعت كل كنوز الدنيا تحت تصرفي، وكان عليّ الاختيار بينها وبين حريتي، سوف أختار حتما الحرية "، وهو نص يعرف المتلقي بنبيل شخصية "الأمير عبد القادر" ومثاليته وتمسكه بالمبادئ، ويقدم هذه الشخصية خير تقديم، لأنها الشخصية التي سوف تدور حولها أحداث الرواية، ويتعلق بها الفضاء المكاني والزمني، وتشغل حيزا كبيرا من اهتمام الكاتب، لذلك رأى "واسيني" أن يضع هذه المقولة للأمير مكملّة للقول الأول من أجل أن يبرر اختياره لهذه الشخصية بالذات كي تكون شخصية البطل في واحدة من رواياته، فكانت هذه المقولة دفاعا عن وجهة نظره المستمدة مما قال الأمير ذاته، فبعد أن كان "الأمير عبد القادر" مهديا له في القول الأول، يهدي الكاتب إلى روحه عمله الروائي، أضحى هو الذي يهدي للمتلقي هذه الحكمة التي نتجت عن خلاصة تجربته، وهي أن يسعى الإنسان للدفاع على حريته وحرية وطنه ومن ثم المحافظة عن كرامته وعزة بلده وهي أعلى من كنوز الدنيا كلها.

ومن أنماط الإهداء المقنع أيضا التي ظهرت بها نصوص الإهداء عند "واسيني الأعرج" ما يسمى في اللهجة الجزائرية "البوقالة"، وتتشكل البوقالة من ألفاظ ذات إيحائية ورمزية يُستدل عليها بحسب توقع المستمع لها، وهي ألفاظ وجمل لها نغمة معينة، كثيرا ما تتشابه في نهاياتها، وهي جمل ذات صيغة خاصة متوارثة بين الأجيال

هند بوعود

منذ عقود عدة، كثيرا ما تأتي " البوقالة " في جلسات نسائية أو سهرات رمضان، وهي وسيلة عند الصبايا قديما للكشف عن خبايا المستقبل واستشراف الآتي، والبوقالة تأخذ سمة التقديس في تراثنا الشفوي التقليدي، وهي عادة تُلقى في جلسات حيث تجلس النسوة في حلقة دائرية حيث تلقي كل منهن ما تحفظه من البوقالات، وتأتي " البوقالة " باللهجة الجزائرية المحلية، وفي العرف السائد تخصص كل بوقالة إلى صبية محددة أو كما يقال (تُتوى لها) بمعنى تُهدى لها من قبل المرأة قبل إلقائها، وتنتظر الفتاة ما يقال لأنها تعتقد أن " البوقالة " سوف تخبرها بما هو آت من قدرها .

وقد فضّل واسيني الأعرج أن يستخدم صيغ البوقالات في بعض تقديمات رواياته، وأمثلة لذلك برواية " ضمير الغائب " حيث يقول :

" اللي مضيع ذهب، في سوق الذهب يلقاه .

اللي مضيع محب، يمكن سنه وينساه .

بسّ اللي مضيع وطن، وين الوطن يلقاه؟ " (30)

وصيغة " البوقالة " واضحة في تشكيل الجمل المتألّفة بينها، حيث يجد القارئ أول ملمح من ملامحها والذي يتمثل في التعبير بألفاظ من اللهجة الجزائرية.

وما يشد القارئ أيضا أن هذا النص يحتوي على نغمة انسيابية تمتد من اللفظة الأولى في النص إلى آخره، مع توحيد في اختيار الحرف الأخير من اللفظة الأخيرة التي تختم كل سطر من النص، وهو لا يعتبر هذا الحرف المتشابه رويًا لأن البوقالة تختلف جذريا عن الشعر لأنها لا تخضع لضوابط الشعر من بحور وأوزان وقوافٍ.

وما يسترعي انتباه القارئ أيضا تكرار عبارة " اللي مضيع " في بداية كل سطر، والتكرار اللفظي يأتي عادة للتأكيد على دلالات معينة أو لتوصيل إلى ذهن القارئ مدى أهميته بالنسبة للكاتب ومقارنة له بما حوله من الألفاظ والدلالات، والتكرار سمة تميز صيغة " البوقالة " في نصوصها التقليدية المتوارثة، والضياع هنا يتفرع في هذا النص إلى ثلاث تفرعات أساسية؛ تخص دلالة الذهب وهو يوحي بالقيمة المادية، ودلالة الحبيب التي توحي بالقيمة العاطفية، وبقيمة العلاقات الإنسانية الراقية، تقابل كل هذه الدلالات وتوازنها في الآن ذاته دلالة الوطن وهي تخالفها في الاتجاه لأن كل معنى من

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

المعاني السابقة يمكن أن يسقط عليه فعل الضياع وما ينتج عنه من رد فعل في نفس كل إنسان.

6- بنية الإهداء عند واسيني:

يكون الإهداء عند واسيني على المستوى البنية التركيبية والمعمارية نصا قصيرا، يتكون في الغالب من جملة اسمية يفتح بها الكاتب إهداءه أو تكون شبه جملة، وقد يتكون من نص أدبي قصير يشغل بضعة أسطر أو يكون نصا أدبيا مطولا تتعدد فيه أسماء المهدى لهم، ويحمل انشغالا أكبر عند الكاتب فيستفيض أكثر في التعبير عنه. وقد ينبني نص الإهداء على شكل سردي حكاوي، فيتشكل من شبه قصة، فيها كل ما تحتويه القصة من عناصر ومكونات، من شخصيات وزمان ومكان وحدث، لأن الإهداء هو إعلان غير صادق⁽³¹⁾ لعلاقة ما تجمع الكاتب بشخص أو بأشخاص مُعلن عنهم لدى المتلقي أو حملتهم رموز دلت عليهم، يكونون هم أنفسهم أبطال هذه القصة، ومثل ذلك ما جاء في التقديم لرواية **واسيني الأعرج** " طوق الياسمين "، فنص الإهداء في الرواية احتوى على شقين أساسيين؛ أما الشق الأول فيخص إهداء موجه إلى زوجته " زينب " حيث يقول:

" إلى "

زينب، صديقتي الغالية

شكرا لك فقد منحني حبك وصبرك فرصة أخرى لأن أكون كما أشتهي،
في أصعب الظروف وأحلكها، وأنظر بعين أخرى للجنون والأقدار الصعبة
التي كادت أن تقصف بنا في الصيفين الهمجيين من سنتي 1984 و1994
حين تواطأ ضدنا الله والقتلة والمأزومون"⁽³²⁾.

وهذا الشق الأول من الإهداء يمثل قصة مكتملة الجوانب، تحتوي ما تحتويه القصة من عناصر ولكن في شكلها المبسط، وأول ما يلاحظه المتلقي عند قراءته لهذا الإهداء أن حرف الجر " إلى " قد شغل لوحده السطر الأول وهو فعل مقصود من الكاتب يهدف به إلى تشويق القارئ وتحفيز عنصر الانتظار لديه، لما سوف يأتي في السطور اللاحقة

هند بوعود

من معلومات تشير إلى المهدى إليه، والعلاقة التي تجمعها بالكاتب، وكذا معاني الإهداء وأسبابه وغاياته، ورغم أن بين السطر الأول والسطر الثاني مسافة بسيطة تنتقل بينهما عين القارئ في لحظات معدودات إلا أنها عندما انفردت بذاتها قدمت إلى ما يأتي بعدها وجعلت المتلقي يتوق لمعرفة ما تحمله الألفاظ التالية من معان.

وأول ما ينتقل القارئ إلى السطر الثاني يلاقيه لفظ "زينب"، وهو اسم ينبئنا أنه هو المهدى له، بالإضافة إلى أنه الشخصية الأساسية التي تؤسس للقصة التي يحملها الإهداء، يكون مصبوغا بإيحائية ورمزية وعمق في الدلالة بالإضافة إلى ما يعطيه الكاتب من شكل جديد ودلالة مختلفة، وهذا ما يجده القارئ في هذا الإهداء حيث تحولت كلمة زينب إلى شخصية قصصية تشارك الكاتب في أحداث معينة داخل سياق الإهداء، وتتوفر عناصر القصة أيضا بإضافة عنصر الزمان ويمثله فصل الصيف في كل من سنتي 1984 و1994 وتضم هاتين السنتين أحداثا اشترك فيها الطرفان، ويبدو من اختيارات الكاتب اللفظية واللغوية أن طبيعة الحدث القصصي في هذا الإهداء كان مأساويا يحمل ذكريات سيئة لواسيني وزينب أثرت على حياتهما وعمقت العلاقة التي تجمعهما، وتدل على الحدث عبارات معينة في نص الإهداء هما: عبارة "أصعب الظروف وأحلكها"، وكذا عبارة "الأقدار التي كادت أنتعصف بنا"، وعبارة "الصيفين الهمجيين"، "القتلة والمأزومون" وهذه الأخيرة هي العروة الوثقى التي تصل دلاليا كل العبارات السابقة.

وبذلك يظهر للحدث صانع فعلي آخر يقابل شخصيتي زينب وواسيني، ويضاهيهما أهمية في إحداث الحدث أو خلقه، ولكن الفارق بينهما أن الطرف الأول (شخصية زينب والكاتب) هو طرفٌ مفعولٌ به أي واقع عليه الفعل ومشارك في صناعة الحدث، أما الطرف الثاني فيخص الفاعل في هذا الحدث وهو كما جاء في نص الإهداء ممثلا في (الله، والقتلة والمأزومون)، و"الله" لا يمثل لفظ الجلالة ولكن توظيفه في سياق النص دلّ على أنه هو القدر الذي جعلهما في مواجهة مع الموت.

إن نص هذا الإهداء يتضمن عنصرَي السارد والمسروود له؛ فأما الأول فيدل عليه دور الكاتب الذي يأخذ دور الراوي والشخصية الرئيسية في الرواية فهو يسهم في الحدث ويرويّه في الآن ذاته، والحدث المروي في هذا الإهداء جاء مفتوحا على تأويلات القارئ،

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

لأن الكاتب جعل القصة مختصرة يعبر عنها ألفاظ معدودات، وترك مساحة شاسعة لكل متلق أن يؤلف القصة من زاوية نظره لها، وبذلك أشرك الكاتب متلقيه من جهة، وشكل من القصة قصصا لا حصر لها من ناحية أخرى، فيتبادل السارد مع المسرود له الأدوار فتبدلت بينهما الوظائف.

ومع حضور معظم عناصر القصة مجتمعة في هذا الإهداء من شخصيات وحدث وفضاء زمني وسارد ومسرود له، يبقى عنصر المكان غائبا في النص أو وجوده غير واضح بصفة مباشرة، ولكن وجوده أمر مؤكد لأنه ما من حدث يرتبط بزمان وبشخصيات إلا وكان له فضاء للمكان يكون مسرحا لحركية الشخصيات ولسير الأحداث، ويفترض في هذا المقام بالذات أن لا يكون مكانا بعينه ولكنه يحدد بموقع تواجد الشخصيتين "زينب" و"الكاتب" بحيث يتربص بهما الموت في كل مكان (العمل، البيت، الشارع...)، ويفترض أيضا أن هناك المكان الخاص بالزمان الأول (1984م)، والمكان الخاص بالزمان الثاني (1994)، وبوجود المكان تكتمل عناصر القصة داخل هذا الإهداء.

ورغم أن نص الإهداء يبدو نصا هامشيا عند بعض الدارسين لا دخل له بالنص السردى إلا أنه - في حقيقة الأمر - يتيح للقارئ أن ينفذ إلى النص السردى من أبواب عدة، وقد ييوح له أيضا بلمحات من الحكاية المركزية، أو باسم أو أكثر من أسماء شخصيات الرواية، كما يمكن أن يدلّه على حدث أو أكثر من أحداث النص السردى أو أن يلخص الأحداث ويقدمها مصبوغة بطابع الإهداء، ككل في شقه الأول والثاني مجتمعين من نص إهداء رواية "طوق الياسمين"، ويتأكد هذا التصور أكثر في الشق الثاني حيث جاء فيه قول الكاتب:

" وإلى

صديقي الحاضر دوما: عيد عشاب

الذي انسحب بصمت من الدنيا مثلما جاءها بعد أن فتح لي

باب الياسمين وكشف لي أنواره وأسراره. عاش ما كسب، مات ما خلى.

عشت وحيدا يا صديقي ومِتّ وحيدا بعد أن نسيتك بسرعة الذين عرفوك

وخدمتهم بطيبتك المعهودة وتفانيك⁽³³⁾.

هند بوعود

أول ما تشده هي كلمة "صديقي" وموقعها البنائي والتشكيلي الذي جاء في صدارة الكلام، فالكاتب في هذا الإهداء يؤكد في كل جزء منه على معاني الصداقة، وهذا يعني أن للصداقة حضور ودلالات واضحة فيما سيأتي من النص السردى، والصداقة في الجزء الأول كانت بين (زينب والكاتب) وهي ثنائية تدل على صداقة بين امرأة ورجل، وفي الجزء الثاني جمعت الصداقة بين (عيد عشاب والكاتب)، هذا ما يجعل القارئ يفترض أن يكون للنص المركزي حكايتين أساسيتين تدور في فلكهما الأحداث تربط خيوطها معاني الصداقة ومعاني العشق، وتبقى العلاقات في الرواية تحكمها ثنائيتين (رجل، رجل) و(رجل، امرأة) هذا ما تبوح به التركيبية الدلالية الخاصة بهذا الإهداء للقارئ.

كما قد تأتي بنية نص الإهداء عند واسيني في بعض إهداءاته منوطة بوظيفة شرح العنوان الرئيسي للرواية، أو يكون ممثلاً في حد ذاته لعنوان آخر للرواية يقدم للنص المركزي فيعطي للمتلقي معنى للعنوان الأصلي أو يعطيه بديلاً أكثر تفصيلاً، ويفتح نافذة على مضمون النص السردى.

وأخلص بعد كل ما سبق ذكره إلى أن نص الإهداء، وهو جملة من الإشارات الإرسالية توجه القارئ نحو رؤية معينة يقرأ في ضوئها النص الروائي، سواء أكانت هذه الرؤية افتراضية أم قصدية، بحيث أعطى أهمية خاصة لهذه العلامة، التي تحمل بصمة الكاتب لأنها مستوحاة من ذاتيته ووجهة نظرة تجاه الواقع، وطوعه لخدمة خطاب النص.

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"

الإحالات

(1) **Gérard Genette**, *Seuils*, éditions Seuil, Paris, 1987, p.110.

(2) **حسن بحراوي**: بنية الشكل الروائي، دط، المركز الثقافي العربي، 1990 م، ص: 9.

(3) **واسيني الأعرج**: حارسه الظلال، ط1، دار الفضاء الحر، 2001م، ص: 5.

(4) (Miguel de Cervantès Saavedra (1547-1616) ..كاتب مسرحي وروائي وشاعر اسباني.. نشر عام 1605 الجزء الأول من رواية (دونكيشوت ديلامانتشا) El Ingenioso Hidalgo Don Quixote de la Mancha).. ظهر الجزء الثاني عام 1615.. وهي من أروع الروايات العالمية. سجن في الجزائر سنة 1575 رفقة أخيه رودريغو حتى سنة 1580، قضى معظم حياته في العصر الذهبي في إسبانيا.. معروف في أنحاء أوروبا.. لكنه لم يتمتع في حياته.. مات فقيراً معدماً ولم يتذوق طعم الشهرة التي نالها بعدئذ. يسخر في روايته من الفروسية.. تعد "دونكيشوت.." صورة رائعة للطبيعة البشرية.. وهي مزيج من الفكاهة والحب والتعاطف والفلسفة.

(5) **واسيني الأعرج**: حارسه الظلال، ص : 6.

(6) المصدر السابق ، ص: 7.

(7) **واسيني الأعرج**: ذاكرة الماء (محنة الجنون العاري)، ط1، منشورات الفضاء الحر، 2001 م، ص: 6.

(8) **محمد صابر عبيد**: جماليات التشكيل الروائي، ص ص: 53-54.

(9) **واسيني الأعرج**: سيدة المقام، ط1، منشورات الفضاء الحر، بيروت، لبنان، 2001 م، ص: 4.

(10) **باسمة درمش** : " عتبات النص "، مجلة علامات، ع 16، ماي 2007 م، ص: 71.

(11) **واسيني الأعرج**: سيدة المقام، ص: 04.

(12) **واسيني الأعرج**: طوق الياسمين (رسالة في الصباغة والعشق المستحيل)، ط2، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2006م، ص: 7.

(13) **واسيني الأعرج**: شرفات بحر الشمال، دط، دار الآداب، بيروت، لبنان، دت، ص: 5.

هند بوعود

- (14) جميل حمداوي: " سيمياء اسم العلم في الرواية العربية ". مجلة الرواية، ع32، ديسمبر، 2010م، ص: 121.
- (15) المرجع السابق، ص: 124.
- (16) واسيني الأعرج: طوق الياسمين (رسالة في الصباية والعشق المستحيل)، ص: 7.
- (17) واسيني الأعرج: طوق الياسمين (رسالة في الصباية والعشق المستحيل)، ص: 7.
- (18) طوق الياسمين، ص: 7.
- (19) واسيني الأعرج: طوق الياسمين (رسالة في الصباية والعشق المستحيل)، ص: 289.
- (20) واسيني الأعرج: سوناتا لأشباح القدس، ط1، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009م، ص: 2.
- (21) واسيني الأعرج: شرفات بحر الشمال، ص: 5.
- (22) واسيني الأعرج: طوق الياسمين (رسالة في الصباية والعشق المستحيل)، ص: 7.
- (23) واسيني الأعرج: شرفات بحر الشمال، ص: 5.
- (24) واسيني الأعرج: وقع الأحذية الخشنة (طوق الياسمين)، منشورات الفضاء الحر، بيروت، لبنان، 1981، ص: 7.
- (25) محمد صابر عبيد: جماليات التشكيل الروائي، ص ص: 60.
- (26) واسيني الأعرج: فاجعة الليلة السابعة بعد الألف (رمل الماية)، ج1، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، دار الاجتهاد، الجزائر، 1993م، ص: 04.
- (27) واسيني الأعرج: كتاب الأمير (مسالك أبواب الحديد)، ط1، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2005م، ص: 6.
- (28) عامر الديك: " مفهوم المناص في النقد العربي"، مجلة الكويت، ع 351، مارس 2011 م، ص: 46.
- (29) واسيني الأعرج: كتاب الأمير (أبواب مسالك الحديد)، ص: 06.
- (30) واسيني الأعرج: ضمير الغائب، ط1، منشورات الفضاء الحر، بيروت، لبنان، 2001، ص: 06.
- (31) محمد القاضي: في حوارية الرواية (دراسة في الرواية التونسية)، ط1، 2005م، دار السحر، تونس، ص: 126.
- (32) واسيني الأعرج: طوق الياسمين (رسالة في الصباية والعشق المستحيل)، ص: 07.
- (33) واسيني الأعرج: طوق الياسمين (رسالة في الصباية، والعشق المستحيل)، ص: 7.

دلالات نص الإهداء في روايات "واسيني الأعرج"